موجز فلسفة التضامن

Nidhal Baghdadi

(Open University of North America)

Résumé

Durant deux années passées dans la recherche et l'observation, je n'ai trouvé d'idée qui fait l'unanimité, une différence de points de vue d'une manière ou d'une autre gravite autour d'elle. En effet; j'ai trouvé une entente sur des aspects généraux mais dès que j'examine dans le fond; apparaissent alors des différences dans les idées. Si les germes de la réflexion philosophique croissent dans les terres de l'étonnement, mes questions se sont axées sur la possibilité d'arriver à un mode de réflexion donné capable de nous guider vers les réponses appropriées à toutes les questions que peuvent se poser les humains. Dans cette feuille philosophique, j'essaye d'expliquer à quoi je suis arrivé.

ملخّص

طوال سنين قضيتها في البحث والنظر، لم أجد خلالها أيَّ فكرة؛ إلا ورأيتُ الاختلاف في وجهاتِ النَّظر تحومُ حولها ولو بوجهٍ من الوجوه. نعم لَمست الاتفاق على بعض المفاهيم العامَّة لكن ما إن أتأمَّلُ للحظةٍ في معنى ذلك المفهوم حتَّى تَظهر الأفكار المختلفة مرَّة أخرى. وإذا كانت بذور التفكير الفلسفي عبارة عن أسئلة تنبتُ في أرض الدَّهشة، فإنَّ أسئلتي تمحورت حول إمكانية الوصول إلى نمطِ تفكيرٍ مُعيَّن يساعدُنا للوصولِ إلى الأجوبة النِّهائيةِ عن جميعِ الأسئلةِ التي تخطر ببال كائنٍ من كان من بني الإنسان. وفي هذه الورقة الفلسفية سأحاول أن أوضح ما توصلت إليهِ في هذا الشأن.

Abstract

During two years ago spent in research and observation, I didn't find an unanimously idea. The difference of views was always revolving around. In fact, I found an agreement in some general concepts but when I look to the depth of them, the difference of ideas appears back. If philosophical reflection's seeds grow in the land of wonder, my questions are focused on the possibility of reaching a certain way of thinking which guides us to the appropriate answers of all the questions that humans can ask. In this philosophical paper, I'll try to explain all what I arrived to.

المقدمة

طوال سنين قضيتها في البحث والنظر، لم أجد خلالها أيَّ مسألة أو فكرة في الحياة؛ إلا ورأيتُ الاختلاف في وجهاتِ النَّظر تحومُ حولها ولو بوجهٍ من الوجوه. نعم لَمست الاتفاق على بعض المفاهيم العامَّة لكن ما إن أتأمَّلُ للحظةٍ في معنى ذلك المفهوم حتَّى تَظهر الأفكار المختلفة مرَّة أخرى.

كنتُ في حيرةٍ من الأسباب الكامنة وراءَ اختلاف الآراء حول الفكرة الواحدة مهما كانت مألوفةً أو بدت مسلَّمة لا شيَة فيها، حتَّى فكَّرتُ بأنَّ الشَّيءَ الوحيد غير المختَلف فيه هو الاختلاف نفسه، إذ ما إنْ يُطرح أيَّ سؤالٍ أو رأيٍّ خاصَّة على ثُلاثية (الدِّين والعلم والفلسفة) حتَّى تنفتحَ منافذُ مُتعدِّدة متناقضة للإجابة عنه، لا أوَّل لها ولا آخر.

إذا كانت بذور التفكير الفلسفي عبارة عن أسئلة تنبتُ في أرض الدَّهشة، فإنَّ أسئلتي تمحورت حول إمكانية الوصول إلى نمطِ تفكيرٍ مُعيَّن يساعدُنا للوصولِ إلى الأجوبة النِّهائيةِ عن جميعِ الأسئلةِ التي تخطر ببال كائنٍ من كان من بني الإنسان. وكانَ السُّؤال الأهم بين أسئلتي هو: هل يُمكن الوصول إلى الأجوبة النِّهائية يومًا ما؟

إنَّ ما أعنيهِ بالأجوبةِ النِّهائية هنا، ليس الأجوبة القطعيَّة التي لا تقبل النِّقاش كقولنا إنَّ (أ × ب = ب × أ) لإنَّ علاقة الضَّرب تباديليَّة، فلا أحد يستطيع أنْ يُجادل في ذلك[1]، بل هي الأجوبة التي لا يتوقَّف في قبولها كلٌّ من الدِّين والعلم والفلسفة على حدٍّ سواء.. وليس هذا فحسب، بل هي الأجوبة التي لا يعترض عليها المختلفون في كلٍّ من الدِّين والعلم والفلسفة.

تحوَّل السُّؤال عن إمكانيةِ الوصول لتلك الأجوبة إلى تساؤلاتٍ تدورُ حول التَّعدُّدِ والتَّوحُّدِ، الاختلاف والائتلاف، التَّكثر والتَّفرد، التَّغيُّر والثبات، وغير ذلك. إذ هل يمكن أن يكون كل هذا بلا انسجام؟ إلا يمكن أن توجد نظرة أشمل من كل هذا بحيث تشمل نفسها أيضًا؟

كانت رحلة بحثيّة شائكة انتهت بانبثاق "**نظرية التَّضامر**"، وهي نظرة فلسفيَّة شاملة، وجدت فيها– وبما تتضمَّنه من مبادئ ومفاهيم وَقوانين- الإمكانية لإعطاء الأجوبة عن جميع التَّساؤلات التي كنت أبحث عنها.

لقد تبيَّن لي عن طريقها معرفة أسباب الاختلاف في وجهات النَّظر سواء في النَّمط التفكيري الواحد أو بين الأنماط المختلفة، والأهمُّ أنَّ التَّفسير المستفاد منها لا يتعارض مع جميع المختلفين. كما اكتشفتُ المنفذ الذي من خلالها يمكن أنْ يتجاوز التفكير الإنساني محدوديته إلى مستوى يدرك فيه الأجوبة نهائية ويتعامل بها.

بتعبيرٍ آخر: وفقًا لها، لم تعد تفسيرات الدِّين والعلم والفلسفة متعارضة أو متناقضة أو مختلفة، بل أصبحت كأنَّها ناطقة بألسِنَةٍ مُتعدِّدة عن حقيقةٍ واحدة.. وفي كلِّ ذلك لم يُلجأ إلى مفاهيم التَّوافق أو التأويل أو التحوير، بل ما حصل هو أنَّ مضمون الأفكار التي يطرحها التَّضامر من الشُّمولية والانسجام بحيث تستطيع أنْ تكشف عن الرَّوابط الخفيَّة بين الاختلاف، وبهذا ترسَّمتْ ملامح النِّظام المُضمر في اللانظام المظهر.

وكي لا أطيلَ أكثر في وصف إمكانات هذه النَّظرية ليس في التَّفسير فحسب بل وفي التَّوقع أو التَّنبؤ، فسأدخلُ في ورقتنا هذه بالتَّفاصيل مباشرةً، بعرضٍ مقلٍّ لها غير مخلٍّ،

1- في التضامر الأمر فيه نظر، إذ يجب أن نحدّد الدلالة لهذه العلاقة الرياضية بنوع الرياضيات التي نجريها فيها، إذ هذه النتيجة لا يشترط أن تكون مسلمة في جميع أنواع الرياضيات. ففي الرياضيات التي تفترض الأبعاد الإضافية التي تسمى (متغيرات غراسمان) نسبة لواضعها، فإن هذه العلاقة لا تكون تبادلية، بل تكون بالشكل (أ × ب = - ب × أ). أنظر: ستيفن هوكنغ، الكون في قشرة جوز- شكل جديد للكون، ترجمة: د. مصطفى إبراهيم فهمي، مطابع السياسة، الكويت، 2003، ص52.

يحدوني الأمل بالتَّوفيق والسَّداد.

مدخل

إذا كنَّا نتحدَّث عن نظرةٍ شاملة، فممَّا يُفترضُ بهذه النَّظرة أنْ لا تكون انتقائية أو إقصائية. ولهذا فمن الأسس التي ارتكزت عليها نظرية التَّضامر، الأساس الذي يذهب إلى الأخذ بجميع أنماط التَّفكير، مهما كان ذلك التَّفكير دينيًّا أو فلسفيًّا أو علميًّا أو أدبيًّا، بل وحتَّى لو كان أسطوريًّا. فما دام ذلك النَّمطُ من التَّفكير قد وُجِدَ فهو يشتركُ مع غيرهِ من الأنماطِ في حيثيَّةِ الوجود، وهذا الاشتراك يجعلهُ مع غيرهِ من الأنماط التَّفكيريَّة على قدمِ المُساواة في هذه الحيثيَّة.

وإذا ما استندنا إلى هذا الأساس، فإنَّ ما نحصلُ عليه هو وجود نقطةٍ كليَّةٍ تلتقي فيها الكثرة الكاثرة من أنواع التَّفكير، إنَّها نقطة مفهوم الوجود، بمعنى أنَّ الجميع يتوحَّدُ في مفهومِ الوجود لتلك الكثرة، فيكون ذلك المفهوم بمنزلة أعلى نُقطةٍ في قمَّةِ رأسِ الهرمِ المعرفي.

فإذا ما قيَّدنا حديثنا هُنا بأنماطِ التَّفكير الدِّينية والفلسفيَّة والعلميَّة، فإنَّ الحديث عن مفهوم الوجود الموحّد لها في ذاته، يكون بمنزلةِ تلك النُّقطةِ الرَّأس هرميَّة، ونحن إنَّما نشبهها بذلك ليتسنَّى لنا وصف خصائصها الذَّاتية والتَّعامل معها كشيءٍ قابل للتَّصوُّر.

من خصائص النُّقطة الرَّأس هرميَّة هو أنَّها تقابل جميع الأوجه بذاتها، فتنعكس فيها صور جميع الأوجه. في حين أنَّ كلَّ وجه أوجه الهرم لا يرى فيها إلا نفسه. من جانبٍ آخر: هي ترى جميع الأوجه بمنظارين: منظار الكثرة الذي تتعدَّد فيها حين تواجه كلّ وجه على حدة، ومنظار التَّوحد الذي لا تواجه فيه أيًّا من الأوجه، فتكون في تلك الحالة مع ذاتها، حيث الوحدة تجرِّد الكثرة من كثرتها، لكنَّها لا تعدمها، بل تُبقيها مفهومًا كُليًّا.

هكذا هو شأنُ مفهوم التَّضامر حين يواجه ثلاثية (الدِّين والفلسفة والعلم). هؤلاء الثَّلاثة يتوحَّدون فيه توحّدًا مفاهيميًّا، ويتكثرون بأنفسهم تكثُّرًا وجوديًّا. لهذا يستطيع مفهوم التَّضامر أنْ يواجهَ كلًّا منهم بما يتطابق وذاته، فيكون التَّضامر ناطقًا عن الدِّين بالدِّين وعن العلم بالعلم وعن الفلسفةِ بالفلسفة، كأنَّه صورةً منعكسةً عن حقيقةِ كلٍّ منهم، وبهذا هو يحفظُ التَّمايز الحاد فيما بينهم. وإنْ كان هو في ذاته المفهوم الكلِّي المجرَّد الموحَّد لهم جميعًا.

مَثل التَّضامر في هذا كمثل مفهوم الإنسانيَّة، هذا المفهوم يتضمَّنُ كلّ معاني الخير والصَّلاح والتَّقوى، كما يتضمَّنُ كلَّ معاني الشَّرِّ والفساد والفجور، هو كمفهوم مجرّد كلّي يتضمَّن كلّ ذلك، لكنَّه يواجه كلّ إنسانٍ بما فيه، فيعكس إنسانيَّته من حيثيَّة وجود الإنسان لا من حيثيَّة وجود المفهوم، فيمكن أنْ يُقال: إنسان شرِّير أو إنسان خيِّر، إنسان صالح أو إنسان فاسد، إنسان تقيّ أو إنسان فاجر. الإنسانيَّة هنا مفهوم كلِّي تلتقّي في وحدتها المفهوميَّة الكثرة الوجودية، فلا الكثرة الوجودية تكثر المفهوم ولا الوحدة المفهومية تُلغي الكثرة. كلاهما محفوظ: الوحدة المفهومية والكثرة الوجودية.

وإذا كان مفهوم الإنسانية يُمكن أنْ يعرف من خلال مصاديقه الواقعيَّة، فالشَّأن ذاته للتَّضامر، إذ من خلال مصاديق ثلاثيَّة: الدِّين والعلم والفلسفة كأنماطٍ معرفيَّة تقوم على الوحي السَّماوي والتَّأمل الخالص والتَّجربة المعمليَّة، يمكن التَّعرف إلى المضمون الشَّامل لمفهوم "التَّضامر" ودلالاته.

مفهوم التضامر

الإضمار في اللُّغة: هو إخفاء الشَّيء [1].

والمُضمر هو المستتر استتار أصالة[2].

أمَّا معناه الفلسفيِّ الاصطلاحي، فهو –كما أراه- يتركب من دلالتين لا متماثلين:

الدَّلالة الأولى: التَّساتر، وهو أن يستر شيئًا مُظهرًا شيئًا آخر مُضمرًا.

الدَّلالة الثانية: التَّكاشف، وهو أن يكشف شيئًا مُظهرًا وجود شيء آخر مضمرًا.

وهذا يعني أنَّه كما يُفهم من لفظة التَّضامر الدَّلالة على السَّتر، فيجب وفي الوقت ذاته أنْ يُفهم أنَّها تدل على اللاسَّتر.

لو قيل: هذا الجبل كبير، فالمنطق الاعتيادي يوجِّه التَّفكير نحو مفهوم كبرانية الجبل الظاهره، أما المنطق التَّضامري، فيتجاوز من فوره التفكير الاعتيادي إلى ما وراءه ليركز على وجود ما هو أكبر منه وما هو أصغر.

إنَّ الإضمار بهذا المعنى الاصطلاحي، هو مفهومٌ عام يلازمُ الأشياء والمفاهيم وحتَّى الألفاظ ملازمة اعتبارية، بحيث لا يخلو شيء أو مفهوم أو لفظ منه على الإطلاق. فـ"يضمر" تعني أنَّ المفهوم أو النَّظرية أو الشَّيء أو اللفظ يخفي على وجه الإلزام معنىً أو أمرًا آخر لا يماثل ما هو مُظهَر منه.

التَّضامر نمط تفكير لا يقف عند حدود الدلالة المألوفة أو المسلَّم بها، بل يتخذ من الدلالة المظهرة دكَّة يرتقي عليها إلى ما وراءها، أو يعدّها بابًا ينفذ من خلاله إلى ما بعدها.

ضرورة التَّضامر

ما المُبرِّرات لضرورةِ القول بمفهومِ التَّضامر بالوجهِ الذي بيَّناه؟

الضَّرورة يُمكن معرفتها من خلال المصاديق التي تُمثِّل حضوراتٍ وجوديَّة مُتعدِّدة

1- المعجم العربي الأساسي، جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لاروس، (1408هـ/ 1988م)،ص 776.

2- انظر: د. طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، (1418هـ/1998م)، ص146- 147.

لمفهوميته. فإذا كان التَّضامر كما شبَّهناه بنقطةِ رأسِ الهرم، فإنَّ معرفتنا به تكمن في أحد أوجهها بمعرفةِ ما يقابله من ضروراتٍ معرفيَّة، وهي كما يلي:

أوَّلًا: الضَّرورة من حيثيَّة المفهوم الدِّيني

يجزم الدين – وأعني به هنا الإسلام- بضرورة وجود الإله الواحد الأحد، وأنَّ الإله لا يُعرَف إلا من خلال صفاتهِ القائمةِ في ذاته، وأنَّ تلك الصِّفات لا هي الذَّات ولا هي غيرها، كما أنَّ كلَّ واحدةٍ من الصِّفات لا هي الصِّفات الأخرى ولا هي غيرها[1].

الصِّفات تسترُ الذَّات من جهة، فلا يُمكن معرفة الذَّات إلا من خلالها[2]، ومن جهةٍ أُخرى تدلُّ على وجودها.

إنَّ الصِّفات المُظهرة في علاقتها مع الذَّات المُضمرَة، تؤدي دور السَّتر والكشف في الوقتِ نفسه، وهذا الأمر ينطبقُ على علاقةِ كلِّ صفةٍ مع بقيَّة الصِّفات، كلُّ صفةٍ تسترُ بقيَّة الصِّفاتِ وفي الوقت نفسه تكشفُ عن وجودها، وما كان يسترُ ويكشفُ في الوقتِ نفسه هو ما نسميه "التَّضامر".

إذن: ضرورة الصِّفات الإلهيَّة وعلاقتها بالذَّاتِ وببعضها بعضًا تعكس دينيًّا ضرورةِ وجود مفهوم التَّضامر.

ثانيًا: الضَّرورة من حيثيَّة المفهوم الفلسفي

سنتناول ضرورة التَّضامر هنا من حيث مفهوم الميتافيزيقيا، ومن حيث مفهوم الجدل عند هيغل.

1. مفهوم الميتافيزيقيا

الميتافيزيقا مفهوم عقليّ كلّي، يتكوَّن من تجريدِ الماهيَّات، فماهيَّةُ الإنسان مثلاً تختلفُ عن شخصانيَّة الإنسان، الشخصانيَّة لها وجود عينيّ في الخارج، أما الماهيَّة فمفهوم يقومُ العقلُ بتجريدهِ ممَّا هو مشخص في الخارج، ومن هنا أُطلقَ على هذه المفاهيم ميتافيزيقية، لأنَّها بلا

1- هذا المعنى ذهب إليهِ الأشعرية، وهو يضمر عددًا من الاحتمالات التي لا تماثله، وممَّا يضمر ما ذهب إليهِ المُعتزلة مثلاً أنَّ "الصِّفات هي عين الذَّات" أو ما ذهب إليهِ الشَّيخُ الصُّوفي بن عربي من أنَّ "الصِّفاتَ عينُ الذَّات وغيرها". للمزيد انظر: أبو موسى الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلِّين، ج1 ص 11، 112، 234. ج2 ص177-185. إمام الحرمين الجويني، كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلَّة في أصولِ الاعتقاد، مكتبة الخانجي مصر، مطبعة السَّعادة، 1950، ص61 والتي تليها. الحافظ البيهقي، كتاب الأسماء والصِّفات، تحقيق محمد زاهد الكوثري، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، ص110، 139، 175. د. سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، دندرة للطِّباعة والنَّشر، بيروت ،ط1، 1981 ص1213.

2- بحسبِ علمي الوحيد الذي جاء بلا مثيل هذا المعنى هو الشَّيخ الصوفي عبد الكريم الجيلي حيث قال: «الصِّفة عند المحقِّق هي التي لا تُدرك وليسَ لها غاية، بخلافِ الذَّات، فإنَّهُ يُدركها، ويعلمُ أنَّها ذات الله تعالى، ولكنْ لا يُدرك ما لصفاتها من مقتضياتِ الكمال، فهو على بيِّنةٍ من ذاتِ الله، ولكن على غير بيِّنةٍ من الصَّفات»، انظر: الشَّيخ عبدالكريم الجيلي، الإنسان لكامل في معرفة الأواخر والأوائل، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ج 1 ص 20 – 21 .

أعيان خارجيَّة[1].

يتميَّزُ المفهوم الميتافيزيقي بكلانيته، فمفهوم الإنسان يدلُّ على كلّ ِإنسان وجد أو هو موجود أو سيوجد. في هذا المفهوم تتوحَّد إنسانيَّة كل ّإنسان.

ولو تساءلنا، كم إنسان يحتمل أنْ يشتملَ عليه ذلك المفهوم الكليّ، لكانت الإجابة المنطقيَّة: عدد غير محدَّد من الاحتمالاتِ المُمكنة.

الأمر أشبه ما يكون بالمحبرة – مع الفارق- إذ لو كتبنا جملة باللغة العربية من تلكَ المحبرة، فبكم لغة لا تماثل العربية نستطيع أنْ نكتب تلك العبارة نفسها؟ بلا شكٍّ سنكتب عددًا غير محدَّدٍ من الاحتمالات المُمكنة.

هذا إذا نظرنا إلى هذا المفهوم من الكثرة إلى الوحدة، ولكنْ ماذا لو نظرنا لهذا المفهوم من الوحدَة إلى الكثرة؟ هنا يظهر ُجانبًا من فاعليَّة التَّضامر، فحين نتصوَّر الأمر بالشَّكل الآتي:

بما أنَّ لدينا مُظهر يمثل الجزء

وبما أنَّ لدينا مُضمر كلي (يتضمَّن الاحتمالاتِ المُمكنة كافةَ).

إذا يُمكن أنْ نتصوَّر احتمالات غير منتهيَّة مضمرة لا تماثل المظهر.

وهذا يوصلنا إلى نتيجةٍ مفادها:

إذا كان العقل يُجرِّدُ المُظهر ليستخلص منه المفهوم الكلّي بالضرورة.

وإذا كان المفهومُ الكلِّي يتضمَّن جميعَ الاحتمالات بالضَّرورة أيضًا.

وإذا كانت تلك الاحتمالات لا تماثل المظهر.

وإذا كان التَّضامر عملية استنباط الاحتمالات الممكنة من المفهوم الكلي.

إذًا، فضرورة وجود التَّضامر كضرورةِ وجود الميتافيزيقا.

2. جدل هيغل

يقوم مفهوم الجدل الهيغلي على المبدأ القائل إنَّ كلّ قضيَّة تحملُ في ذاتها نقيضها، ومن القضية والنَّقيض يتكوَّن المركب، وهذا المركب عبارة عن شيء ثالث غير القضيَّة أو نقيضها. ثم إنَّ هذا المركب يحمل نقيضه في داخله ومنهما يتكون مركب ثانٍ وتستمرُّ العمليّة في صراع بين الشَّيء ونفيه ليتكامل في الثَّالث الذي يُوحِّد الأضداد في ذاته، لكنَّه بذلك التَّوحيد

1- انظر: د. جميل صليبا، المعجم الفلسفي.
(بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية)، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة،بيروت،1982م،ج2 ص302 -303.

يتحوَّل إلى شيءٍ جديدٍ يحملُ نقيضه.. وتتوالى العمليَّة في صراعٍ جدليٍّ مُتسلسل[1].

في الحقيقة هذا الصِّراع الجدلي لهُ حضوره في الفِكر وفي الطَّبيعة وفي الرُّوح، وهو بهذا يكونُ مفهومًا فلسفيًّا شاملًا ينتظم الوجود بأسره أنطولوجيًّا وأبستمولوجيًّا.

عندما نُحلّل الجَدلَ نجد أنَّ المركب لا يماثل مكوناته، وهذا يدلُّ عندنا على حضور التَّضامر، وذلك لأنَّ التَّضامر عبارة عن المفهوم القائل: أنَّ وراءَ كلِّ مظهرٍ مُضمر لا يماثله.. وما يحصل في الجَدلِ هو من هذا القبيل، إذ بالإمكان إذا ما عرّفنا القضيَّة أنْ نفترضَ وجود نقيض تلك القضية، ثمَّ توقُّع المركب الناتج عنهما في عمليَّةٍ تُسمَّى "نفي النفي".

لكنْ من جهةٍ ثانية، فإنّ التَّضامر ليس جدل هيغلي، لأنَّهُ لا يقوم على إثبات ونفي، ونفي النَّفي، بلْ يقومُ على مظهر، يُستدلّ منه على وجودِ احتمالات ممكنة تتضمَّنُ النَّقيض والنَّظير والشَّبيه أو أي احتمالٍ آخر.

وإذا كانت احتمالات التَّضامر تتجاوز حدود النَّفي ونفي النَّفي، فهذا يدلُّ على أنَّ كلَّ جدلٍ تضامر، وليس كلُّ تضامرٍ جدلًا.

إذن: إذا كان الجدلُ ضرورةً فلسفيةً، فالتَّضامر ضرورة، لأنَّ الجدلَ صورة من صورِ التَّضامر.

ثالثًا: الضَّرورة من حيثيَّة وجودِ المبادئ العلميَّة

مظانّ هذه الضرورة عديدة؛ كالارتياب والتَّشارك والتَّعالق وغير ذلك، وهنا سنتحدَّثُ عمَّا يتَّسع له المقام:

1. الارتياب:

مبدأ الارتياب من الضَّرورات في الفيزياء الحديثة حسب الميكانيكا الكمومية، وهذا المبدأ يدلُّ على أنَّ المظهر يضمر لا مثيله، فإذا أمكن قياس حركة جسيم ذري بدقَّةٍ قدرها 80% مثلا، فإنَّ نسبة اللايقين في موقعه تكون 80%. من معلوم نستطيع أنْ نعرف مجهول في حالة تُسمَّى "اللاتقايس". مبدأ الارتياب يؤكد العلاقة بين المظهر ولا مثيله، إذ معرفة الدِّقة في قياس حالة الجُسيم، لا تُعطي قياسًا مُفردًا لتلكَ الحالة، بل تدلّ على وجودِ قياسٍ آخر مُضمر، ولكونه مضمر فهو ارتيابي أو احتمالي أو لايقيني، ولا يُمكن الفصل بين القياسين في ميكانيكا الكوانتم[2]، وهذا المعنى العلميّ يدلُّ على صورةٍ من صُورِ مفهوم التَّضامر، لأنَّ التَّضامر– كما بيَّنا- يدلُّ على التَّلازم بين ما هو مُظهر وبين ما هو مضمر،

1- انظر: د. إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل، دراسة لمنطق هيجل، دار التَّنوير للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت، ط3، 2007، ص 23. وانظر أيضًا: د. جميلصليبا، ج1 ص393.

2- فيرنر هايزنبرغ، فيزياء وفلسفة- ثورة في الفيزياء الحديثة، ترجمة: د. أدهم السَّمان، منشورات وزارة الثَّقافة، سوريا، 1984، ص30.

ومن المظهر يلزمنا أنْ نحتمل وجود المُضمر، وعلى هذا فضرورة مبدأ الارتياب تعكس ضرورة وجود مبدأ التَّضامر.

2. التَّشارك:

مبدأ المُشاركة من مبادئ الفيزياء الحديثة، فقد اكتشف العُلماء استحالة أنْ يلعب العالم دور الراصد الموضوعي المُنفصل عن التَّجربة التي يجريها في مجال الفيزياء الذَّرية، بل هو يصبح مشمولاً في العالم الذي يرصده إلى حدٍّ أنَّهُ يؤثِّرُ في خواصِ الأجسام المرصودة .

يرى "جون ويلر Jon Wheeler"إنَّ هذا التَّشميل للرَّاصد هو السِّمة الأهم لنظريَّة الكم ولذلك أقترحُ استبدالَ كلمةِ "راصد" بكلمةِ "مُشارك". فعلى حدِّ تعبير ويلر: «لا شيءَ في مبدأ الكمِّ أهمَّ من هذا، إنَّهُ يُحطِّم مفهوم العالِم بوصفه قابعًا هناك، مع كون الرَّاصد مفصولاً بأمانٍ عنه. إنَّ الكون لن يكون بعدئذ هو نفسه أبدًا. لوصف حدثٍ ما؛ يتعيَّنُ على المرءِ أنْ يُلغي تلك الكلمة القديمة "راصد" وأنْ يضعَ في مكانِها الكلمة الجديدة "مُشارك". بمعنى غير مألوف يكون الكون كونًا تشاركيًا»[1] .

وإذا كان هناك تشارك بين عقل الإنسان والطَّبيعة، فهذا يعني أنَّ مفهوم "التَّضامر" الكلِّي العقلي، هو مفهومٌ تشاركي مع العالم، أي أنَّ مبدأ التَّشارك يسمحُ لنا بأنْ نوسِّعَ محيط ما نفهمه عن التَّضامر فلا يعود محصورًا في المفاهيم العقليةِ بل في الموجوداتِ الحسيَّة الخارجيَّة.

وقبل هذا، فلنُعِد قراءةَ الجانب المظهر لعلاقة الذَّات بالموضوع، إذ كان مفهوم هذه العلاقة هو الفصل التَّام، وهذا الفصل التَّام بسبب اللاتماثل بين العقل الإنساني والواقع الموضوعي الحسِّي، هكذا كانت هي النَّظرة، وكان وفقًا لها يفترض أن تكون مقولة التَّضامر ميتافيزيقيَّة فحسب، أيّ عقلية بحته، فلمَّا اكتُشف التَّشارك بين الذَّات والموضوع، أيّ بينَ العقل والطَّبيعة، صار من المنطقيّ افتراض سريان مفهوم التَّضامر في جوهر الطَّبيعة الماديّ، كانطباقِ أيِّ قانونٍ طبيعيّ على مكوِّناتها.

وهذا يعني فيما يعني، أنَّ كل جزء في الوجود المادي يتضمن مبدأ التَّضامر، بالتَّالي فكلُّ شيء طبيعي يضمر لا مثيله. واللامثيل المفترض في الطَّبيعة ليس مجرد مفهوم عقليّ بل شيء له وجوده الكوني الحسِّي المتعين.

إذن، ضرورة المُشاركة تعكس ضرورة وجود علاقة تضامر بين الإنسان والطَّبيعة الكونيّة.

3. التَّعالق:

يتساءلُ "أمير اكزيل" قائلًا: «أمنَ المُحتمل إذا حدث شيءٌ ما هنا أنْ يجعل شيئًا آخر

1- فيرتجوف كابرا، التَّصوف الشَّرقي والفيزياء الحديثية، ترجمة عدنان إبراهيم، دار الحوار، اللاذقية، 2006، ص 140 .

يحدثُ في موقعٍ آخر بعيدًا عنهُ في آن واحدٍ معه؟ إذا أجرينا قياسًا في معملٍ لشيءٍ ما، هل من المحتمل في اللحظة نفسها، أنْ يقع حدث مشابه على بُعدِ عشرة أميال، في الجانبِ الآخر منَ العالم، أو في الجانبِ الآخر من الكون؟ منَ المثير للدَّهشةِ، وعلى عكس أيِّ حدس لدينا عمَّا يجري في الكون، أنَّ الإجابة هي نعم»[1].

ما نتحدث عنهُ هنا هو ظاهرة فيزيائية تعني أنَّ أيَّ كينونتين تظلاَّنِ على ارتباطٍ لا تنفصم عُراه بصرفِ النَّظر عن مقدارِ المسافة بينهما.

وفقًا لهذا الواقع الطَّبيعي، فإنَّ الاعتقاد بالانفصالِ التَّام بين المكوِّنات الأساسيَّة للطَّبيعة، يضمرُ لا مثيله، فليس الارتباط بين مكوِّنات الكون مشروطًا بما هو مألوف من أنواع العلاقاتِ التَّقليدية.

هذا المبدأ في الطبيعة، يزوّد التَّضامر ببعدٍ مفهوميٍّ آخر، فهو يعني أنَّ التَّضامر - فضلاً عن كونه مفهومًا عقليًّا ميتافيزيقيا- قد امتدَّ من خلالِ مبدأ التَّشارُك إلى الطَّبيعة، ثمَّ هو تجاوز هذا الامتداد بين الإنساني والكونيّ إلى تعالقات ما بين مكوِّنات الطَّبيعة نفسها.

إنَّ ضرورة التَّعالق تعكسُ ضرورة وجودِ علاقاتِ تضامرٍ بين مكوِّنات الطَّبيعة فيما بينها.

الخلاصة:

نخلصُ من ذلك إلى ما يلي:

1. التَّضامر يتناول جوانب العلاقات المفارقة المسمَّاة في الأديان بالوحيّ السَّماوي، فهذا النَّوع من العلاقاتِ الرُّوحية المحضة، يعدّ في التَّضامر من نوع العلاقات التي لا تماثل العلاقات المظهرة، وقد تبيّن وجه الصلة بهذا النوع من خلال حديثنا عن ضرورة الصفات الإلهية.

2. عندما ندعُ مجال المفارق لندخل في العالم العقلي، نجد أنَّ التَّضامر يتفاعل مع الميتافيزيقا ويجد له حضورًا في ضرورتها، كما يجد لهُ صورة أخرى من صورِ الحضور الفلسفيّ ممثلة بالوجودِ الفلسفيّ الجدلي.

3. لا يقف التَّضامر عند حدود المفارق والعقلي، بلْ هو يتخلَّلُ العالم التَّجريبي، عالم العلوم الطَّبيعية، وفيها نجدُ أنَّ ضرورة مبدأ الارتياب الفيزيائي، تعكسُ لنا صورة عن الاحتمالات المضمرة. إنَّ الطَّبيعة احتمالية، وما كان احتماليًّا فهو تضامريّ.

ثم مبدأ التَّشارك الذي ينقل مفهوم التَّضامر من الفصلِ بين الذَّات والموضوع إلى التواصل، وإذا كان هناك ميتافيزيقيا أو جدل فذلك كلّه سيتمُّ مشاركته مع الطَّبيعة، أي يوجد في

1- د. أمير اكسيل، التَّعالق أكبرُ لغزٍ في الفيزياء، ترجمة عدنان علي الشهاوي، المركزُ القوميّ للتَّرجمة، القاهرة، ط1، 2008، ص 15.

الطَّبيعة ميتافيزيقيا خاصَّة بها وجدل خاص بها، وبالتَّالي فيوجد تضامر أيضًا.

أخيرًا فإنّ مبدأ التَّعالق ينقلُ التَّضامر إلى مستوى التَّعامل الطَّبيعي المحض، لأنَّهُ يكون بين كينونتين طبيعيتين.

إذن: مساحة التَّضامر تمتدُّ:

من الإلهيات المحضة (علاقة الصِّفات بالذَّات وبنفسها).

إلى الالهيات العلائقيَّة (العلاقة بالإنسان عن طريقِ الوحي).

ومن العقليَّات الخالصة (علاقةُ الميتافيزيقيا بالماهية).

إلى العقليَّات الجدليَّة (علاقتها مع الفكرِ والطَّبيعة والرُّوح).

ومن التَّجريبيَّات العلائقيَّة (علاقةُ الذَّات بالموضوع).

إلى التجريبيَّات التعالقيَّة (علاقةُ الموضوع بالموضوع).

فهذه هي مساحة التَّضامر وهذه هي ضرورته الفلسفيَّة عندنا.

نظرية التَّضامر

تأسيسًا على ما تضمَّنهُ التَّضامر بوصفهِ مفهومًا مُطلقًا وكُليًا يستوعبُ المفارق وغير المفارق، المثاليّ والتجريبيّ، الحسِّي والحدسيّ، الجدليّ والسُّكونيّ، الميتافيزيقي والوضعي، العلائقي والتَّعالقي، وجميع الاحتمالات الممكنة. فإنَّ الصِّيغة الجامعة المانعة له، تنصُّ على أنَّ:

[كلُّ شيءٍ يضمر لا مثيله بدلالة محدّدة]

ويمكنُ التَّعبير عنها بالرُّموز في الشَّكل:

أ | ا (ح +1) ⟵	(P+1)⟶S I | A

حيثُ أنّ

" أ" ، "A": مُتغيِّر يرمزُ للشَّطرِ المُظهر من العلاقة

" ا|" ، "|ا" : رمز التَّضامر، حيثُ يدلُّ الخطّ القصير على المَظهر الذي يضمر لا مثيله، ولا مثيله أكبر منه ولهذا يُرمز له بالخطِّ الطويل.

"ح" ، " P": مُتغير يرمزُ إلى الاحتمالِ المُمكن المُظهر المذكور في العلاقة

"+1": ثابت التَّضامر، وهو يرمزُ إلى وجود احتمال إضافي مضمر دائمًا

" ←" : رمز الدَّلالة

" **د**" ، "**S**": مُتغيِّر يرمزُ إلى الدَّلالة المحدَّدة.

ومن نصِّ النَّظريَّة، يتبيّن أنَّها تشملُ الأبعاد الفيزيائيَّة والميتافيزيقيَّة والدِّينيَّة.

افتراضات النَّظريَّة

تفترضُ نظريَّة التَّضامر ما يلي:

أوَّلاً: كلُّ شيءٍ عبارةٌ عن مُظهر ومضمر بالضَّرورة.

"لا يُشترط أنْ تكون هناك علاقة جدليَّة بين المُظهر والمضمر".

ثانيا: المضمر هو الاحتمالاتُ المُمكنة التي لا تماثل المظهر.

"إذا كان المُضمر لا يماثل المظهر فهذا لا يعني بالضَّرورة أنْ يكون النَّفي للمُظهر إذ اللاتماثل أشمل من النَّفي، فقد يكون تباينًا أو تناظرًا أو تشابهًا.. الخ".

ثالثًا: الأسبقية للمظهر دائمًا.

"المُظهر هو الأساسُ في صياغةِ علاقة التَّضامر سواء أكانَ ذلك المظهر شيئًا موجودًا أم فكرةً نظريَّةً أم اعتقادًا دينيًّا أم غير ذلك".

رابعًا: كلُّ احتمالٍ مُضمر يضمر بدورهِ احتمالاتٍ لا تماثله.

خامسًا: المُضمر هو ضِعف المظهر ، لكونه أكثر من احتمال ممكن دائمًا.

" إنَّ شِقّي علاقة التّضامر وهما: المُظهر والمضمر، غير متساويين كيفًا وكمًّا".

سادسًا: المُضمر إمَّا محتوى في المظهر أو متعلِّق به أو متعالق معه.

"إذا كان المُضمرُ محتوى في المظهر فالتَّضامر ذاتي.

وإذا كان المُضمر متعلق بالمظهر أو مُتعالق معه فالتَّضامر لا ذاتي".

سابعًا: علاقة التَّضامر غير متناظرة ولهذا فهي لا تنعكس.

قانون تضامر الأجوبة

بالاستناد إلى نظريَّة التَّضامر، أستنبط عددًا من القوانين، ومنها:

- **قانون تضامر الوجود:** وهو [إذا وُجدَ شيءٌ في إحدى حد مرتبتين لا متماثلتين بدلالةٍ محدّدة، فإنَّهُ يضمر وجود نظيره في المرتبة الأخرى].

- **قانون تضامر المعرفة:** وهو [إذا وُجد شيئان لا مُتماثلان بينهما دلالة محدَّدة فإنَّ معلوم أحدهما يكشفُ تضامريًّا مجهولاً لآخر].
- **قانونُ تضامر الأجوبة:** وهو [إذا وُجدَ سؤال فيوُجد له عدد مفتوح من الأجوبة النهائية المتضامرة].

وما يهمُّنا من هذه القوانين في هذه الورقة الموجزة هو القانون الثَّالث: قانون تضامر الأجوبة.

هذا القانون يخبرنا بأنَّ الجواب لا يكون نهائيًّا إلا إذا تضمَّن في مفهومه حقيقةً لا نهائيته، ولا نعني بلا نهائيته هو نفيُه، بل نعني تضمّنه لمفهوم وجود احتمالات أُخرى من الأجوبة النِّهائيَّة التي لا تماثله.

الجواب النِّهائي ليسَ الجواب القطعيّ إلا في حيّز دلالته المحددة، بل هو الجواب الذي ينفتح على أبوابٍ مُتعدِّدة من الأجوبة، وهو يفعلُ ذلك حين يرتقي في مفهوم نهائيته من محاولة مطابقة الواقع- أيّ مطابقة أحد أوجه الهرم- إلى مستوى النُّقطة في قمَّة الهرم، هنالك، سيواجه نفسه بنهائيته الذَّاتية المُطابقة لواقعهِ هو والمتمثّلة هنا بوجهِ الهرم الخاص به، وهو في الوقت نفسه سيتقبل وجود الأوجه الأخرى، التي ستكون أجوبةً نهائيَّة لا تماثله تمامًا.

لذا فإنَّ من يتصدَّى لوضع الجواب النِّهائي، ما لم يرتقِ بجوابه إلى هذا المستوى الذي يَنفتح على التَّعدد، فإنَّ نهائية جوابه ستحجبه عن رؤية الأجوبة الأخرى، وهذا ينزلُ بالجواب من الكلِّي إلى المستوى الجزئي، وما كان جزئيًّا فهو ليس نهائيّ بالمفهوم الذي نذهب اليه.

الجواب النِّهائي هو تعبيرٌ عن مفهوميَّة المجيب، فإذا كانَ المجيب ذا مفهوميَّة نهائيَّة فإنَّهُ سيفهم تمامًا بأنَّ أي نهائيَّة عنده هي ليست إلا نهائيَّة ذاتية، وهي ليستْ ذاتيَّة معزولة عن الموضوعية، أو عن الذَّاتيات الأخرى، بل هناك نسبة مشاركة مع الذَّاتيات الأخرى، كما أثبتتْ ذلك ضرورة مبدأ المُشاركة، وأنَّ لها تعالقاتٍ مع ذاتيات أُخرى، كما أثبتت ذلك ضرورة مبدأ التَّعالق، وكلُّ ذلك يُبقي باب الاحتمال اللايقيني مفتوحًا كما أثبتت ذلك ضرورة مبدأ الارتياب. فإنْ كان المجيب مستوعبًا لكلِّ ذلك استيعابًا حضوريًّا، فإنَّ جوابهُ سيكون نهائيًّا. سوف تجد فيه أنَّهُ يُثبتُ نفسه، ويثبت وجود أغيار له بدلالاتٍ تُناسب كل غير.

الحقيقةُ وفق "قانون تضامر الأجوبة"، لا يمكن أنْ تنفصل عن المُشاركة. فهي تظهر في الزَّمان فقط على أنَّها واقع من ثنايا المُشاركة. فإذا جرّدناها من المُشاركة، أعتمت وأظلمت وانقلبت جانبًا أحاديًّا لا يمكنه أنْ يعطي التَّصور الكلِّي عن الواقعِ بأوجههِ المتعدِّدة. وعلى

ذلك وكما يقول الفيلسوف شوبنهاور[1]:«ليس هناك موضوعًا بلا ذات، وليس هناك ذاتًا بلا موضوع.. ويبدو واضحًا أنّ الموجود من حيث هو لا يمكن أن يكون موضوعًا ولا ذاتًا، بل هو "الشَّامل" الماثل وراء الانشقاق» بين الذَّات والموضوع[2].

بلغة الفيزياء يُعبِّر الفيزيائي النَّظري "باولديفيز"[3] عن ذلك فيقول: «تُظهرُ التَّجربة مع تطوُّرِ الفيزياء أنّ ما كان يُعتقد بأنّهُ قوانين مُستقلة إنّما هي قوانين يرتبط بعضها ببعض. ولدينا مثالٌ جيِّدٌ على ذلك في الاكتشافات الحديثة بأنَّ القوّة الذريّة الضعيفة والقوة الكهرطيسية هما في الحقيقةِ وجهان لقوة كهربائية ضعيفة واحدة توصف بجملةِ معادلاتٍ مشتركة. ولذا **يبدو أنَّ القوّة المنفردة هي قوّة مشروطة بقوى أخرى**. ولكن هل من الممكن أن توجد قوة عُليا أو قانون أعلى يوحدّ كل القوانين فيكون لازمًا؟ يَعتقد عدد من الفيزيائيين بذلك»[4]، وعلى هذا «يبدو كما لو أنّ التّفكير البشري موجّه نحو حقيقة خارجيّة خالدة لها واقعية ذاتيَّة لا تنكشف إلا جزئيًّا لأيّ واحد منّا»[5].

استشهدنا بفيلسوف ورجل علم، ولدينا شاهد ديني راسخ، يمكن أن يعطي تصورًا واضحًا عن مفهومِ الجواب النِّهائي، وهذا الشَّاهد هو: "القرآن الكريم" نفسه.

القرآن الكريم فيما نعتقد يستوفي كامل مفهوم الجواب النِّهائي. هو نصٌّ لا يمكن لأيٍّ كان أن يحتكرَ الدَّلالات التي يتضمَّنها، لهذا هو ينفتحُ على عددٍ غير محدَّد من الأجوبة اللامتماثلة (المُتعدِّدة)؛ الفقيه يجد فيه استنباطاته للأحكام الشَّرعية، والكلاميّ يتَّخذ منهُ مرجعًا لأفكاره العقائديَّة، والبلاغي تأخذهُ الدَّهشة من ذرَّوة بيانه، والسِّياسي يرى فيه دستورًا كافيًا للإنسانية، والصُّوفي يفنى في حقائقه الرُّوحية وأبعاده العرفانيَّة، والفيلسوف يجدهُ مُعجمًا من براهين عقليَّه، والواعظُ يراهُ مستودعًا للقصصِ والعبر الدنيويَّة والأخروية، والعالم يجدُ فيه انفتاحًا يواكب الحقائق والاكتشافات العلميَّة، والتَّربوي يجده دليلاً كاملاً لإصلاحِ الفرد والمُجتمع، والأديب يجدهُ قمَّة القمم في الصِّياغة النَّثرية، والشَّفافية الشَّاعرية، وغير ذلك.

والسُّؤال هنا: هل يحصل تعارض فيما يستنطقون فيه النَّص القرآني؟

لا، إذ «كلّ واحد يقف على وجهٍ من وجوه الحقيقة القرآنية أو يستكشف بعدًا من أبعادِ

1- شوبنهاور، آرثر، (1202هـ/1788م- 1276هـ/1860م)،فيلسوف ألماني ولد بدانزج، وتعلم في برلينوبينا، أخفق في أن يكون أستاذًا، فعاش يفكر. وله تأثير في الفلسفة وعلم النَّفس إذْ جعل "الإرادة" محور البحث. أهمُّ كتبه "العالم إرادة وفكرة". انظر: معجم أعلام المورد، منير البعلبكي، ص264.

2- د. محمد فتحي الشنيطي، المعرفة، ص 227.

3- باولديفيز، فيزيائي نظري، أشرف في بداية السَّبعينيات على دراساتٍ تبحث تخليق الطَّاقة من العدم، أنجز ما يزيد على المئةِ بحث، قام لسنين عديدة بإعداد برنامج لحسابِ هيئة الاذاعة البريطانية، ألَّف العديد من الكتب، مثل: عوالم متعدِّدة، عقل الله، عالم الصَّدفة وغيرها. انظر: د. محمد باسل الطَّائي، دقيق الكلام، الرُّؤية الإسلاميَّة لفلسفةِ الطَّبيعة، عالم الكتب الحديثة، أربد، الأردن، ط1، (1431هـ/2010م)، ص143.

4- المصدر نفسه، ص176.

5- بولديفيز، الله والعقل والكون، ص153.

النَّص أو يلتقطُ دلالةً من دلالاته. فالنَّص يتَّسع للكلِّ: لكلِّ الأوجه والمستويات والمجالات، وبإمكان كل من يستنطقه أنْ يقرأ ذاته فيه، وإذًا فبإمكانهِ أنْ يكتشف غيره أيضًا إذا ما باشر قراءة النَّص بعقلٍ مفتوح وقلبٍ مفتوح، فلا مجال إذن لأنْ يُخطئ الواحد الآخر، ما دام كلام الله يتَّسع للمثل والمختلف، وللموافق والمعارض في آن»[1].

هذا هو الجواب النِّهائي.

وهذا هو شرطه.. الوقوفُ على أعلى نقطةٍ في قمَّة الهرم..

الجوابُ النِّهائي إذن: هو الجوابُ الذي لا ينفي الاحتمالات التي لا تماثله ضمن دلالاتها المحددة، والشَّخص القادر على استيعاب ذلك، أي القادر على استيعاب أنَّ نهائية جوابه محددة بدلالة معينة، وهناك أجوبة أخرى نهائية بدلالات أخرى، هو في من نطلق عليه اسم: "**الإنسان النهائي**".

وفي تصوُّرنا، إنَّ أجوبة مثل هذا الإنسان هي الأجوبة النِّهائيَّة، بالمعنى الدَّقيق لمفهوم النِّهائيَّة الذي نذهب إليه، وذلك سيكون واضحًا إذا ما محّصنا تلك الأجوبة ووجدنا أنَّها لا يختلف حولها عالم أو فيلسوف أو مُلحد أو مؤمن موحّد أو مفكّر أو مثّقف أو أديب أو فنان أو حتّى شخص غير المتخصّص في أيِّ مجالٍ من مجالات المعرفة.

الإنسان النِّهائي هو الذي تكون أجوبته مطابقة لأوجهِ الواقع غير المتناهية.

الخاتمة

يُمكننا القول وبإيجاز:

التَّضامر هو نظرة فلسفيَّة تسعى لتأسيسِ نمط تفكيريّ جديد؛ نمط لا يحجبه تمظهر الثّنائيات ولا المُتنازعات ولا المُتخالفات ولا المُتناقضات ولا بشكلٍ عام جميع المتكثرات والمتنوعات والمختلفات عن رؤيةِ التَّشارك فيما بينها، ذلك التَّشارك الذي ينتهي في قمَّة نقطة التَّوحد الكلية.

والتَّضامر نظرة لا تنطلق من الكثرةِ لترى الوحدة فحسب، بل هي تشرف من الوحدة على الكثرة، لترى التَّتام والتَّكامل في كلِّ شيء، دون أن يحجبها ذلك عن واقع التَّميز التَّام فيما بينها.

والتَّضامر نظرة لا تنحجب برؤيةِ المُسلَّمات والمألوفات عمّا سواها، فلا تلغيها أو تتنكر لها، ولا تقدّسها بالتوقّف عندها وكفى؛ إنَّها تشقُّ طريقها من خلالها إلى ما وراءها، لأنَّها ترى أنَّ كلّ شيءٍ معبِّر عمّا وراءه من احتمالات لا متناهية.

فالتَّضامر نظرة لا ترى الحقيقة بوجه وحيد بل تراها في جميعِ الوجوه، وفي الوقت نفسه

1- د. علي حرب، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط3، 2005، ص 45.

ترى الوجوه جميعها فيها.

هكذا، ومن خلال هذه النَّظرة حصلت على أجوبتي التي كنت أبحثُ عنها، فهل هي كذلك بالنِّسبة لك؟ أم لك نظرة لا تماثلها؟ أيًّا ما كان الجواب فالتَّضامر يستوعبه.. إنَّه الجواب النِّهائي.